أقسام الجيش

والرتب العسكرية

روت الصحف منذ مدّة ان قد تألّفت بقرار من مجلس الوزراء لجنةٌ لوضع اسماء عربية للرتب العسكرية في السلطنة المصرية ، فرأينا ان نقول كلمةً في هذه الرتب ومسمّياتها واقسام الجيوش وانواع الاجناد مع ما يُقابلها عند العرب والافرنج . ولا يخفى ان العرب قد اشتهروا بالغزو والقتال ، وكانت لهم أيّامٌ غرّاء في الفتوح والحروب ، فلا عجب والحالة هذه ان تكثر في لغتهم الالفاظ الحربية والمترادفات العسكرية

تختلف اسماء العساكر عند الامم باختلاف انواع إسلحتها وكيفية تجهيزها للقتال . فمن هذه الانواع ما يُعرف الآن باسم « بيادة » وهم المشاة او الرجّالة (Infanterie) ، ومنها « السواري » وهم الفرسان او الخيّالة (Cavalerie) ، ومنها « الطوبجية » او المدفعية (Artillerie) ، والرُّماة (Tirailleurs) ، والدارعون (Cuirassiers) وهم لابسو الدرع ، قال السموأل في قصيدته المشهورة :

واسيافنا في كلّ شرقٍ ومغربٍ بها من قِراع الدارعين فلولُ

وهناك ايضاً الهجّانة (Corps à chameau) والرمّاحة (Lanciers) والقوّاسة (Archers, Arbalétriers) وهم حملة القوس ، وقد توسّعوا في عصرنا هذا في مدلول هذه الكلمة فاطلقوها على الرجال المناطة بهم المحافظة على القنصليات

وقد تختلف الاسماء المطلقة على كل نوعٍ من انواع العساكر التي اشرنا اليها ، ولكنها في الغالب ترجع الى نوع السلاح وعدّة القتال كما اشرنا ، فلا حاجة الى البسط في ذلك

ويُقسَّم الجيش عادةً من حيث مراكزهُ الى خمسة اقسام وهي : الطليعة او المقدّمة (Avant-garde) والسافة او المؤخّرة (Arrière-garde) ، والقلب (Centre) والميمنة او الجناح الايمن (Aile droite) والميسرة او الجناح الايسر (Aile gauche)

وهذا التقسيم معروفٌ قديماً عند العرب . قال ابن خلدون في مقدّمته : « كانوا يقسمون الجيوش والعساكر اقساماً يسمونها كراديس ، ويسوّون في كل كردوس صفوفهُ . . . ويرتّبونها قريباً من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ، ورئيس العساكر كلها من سلطان او قائد في القلب ، ويسمّون هذا الترتيب التعبئة . وهو مذكورٌ في اخبار فارس والروم والدولتين صدر الاسلام . فيجعلون بين يدي الملك عسكراً منفرداً بصفوفهِ متميّزاً بقائدهِ

ورايته وشعاره ويسمونهُ المقدَّمة ، ثمَّ عسكراً آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمته يسمونهُ الميمنة ، ثمَّ عسكراً آخر من ناحية الشمال كذلك يسمونهُ الميسرة ، ثمَّ عسكراً آخر من وراء العسكر يسمونهُ الساقة ، ويقف الملك واصحابهُ في الوسط بين هذه الاربع فيسمون موقفهُ القلب . فاذا تمَّ لهم هذا الترتيب الحكم ، إمَّا في مدًى واحدٍ للبصر وإمَّا على مسافةٍ بعيدة اكثرها اليوم واليومان بين كل عسكرين منها ، او كيفما اعطاهُ حال العساكر في القلة والكثرة ، فحينئذٍ يكون الزحف من بعد هذه التعبئة »

وذكر ابنُ خلدون ايضاً اثناء كلامهِ عن الوظائف السلطانية « صاحب الحرب وصاحب الشُرطة » ويقابلها في عهدنا هذا وزير الحربية وقومندان البوليس او الحكندار ، وذكر كذلك « ديوان الجند » في كلامهِ عن اختصاص وزير المملكة وهو ما يقابلهُ اليوم وزارة الحربية . امَّا تاريخ تأليف هذا الديوان في الدولة الاسلامية فكان على عهد عُمَر باشارةٍ من خالد بن الوليد . « وقيل بل اشار عليهِ بهِ الهرمزان لمَّا رآهُ يبعثُ البعوث بغير ديوان . فقيل لهُ : ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم ، فانَّ من تخلَّف اخلَّ بمكانهِ . وانما يضبط ذلك الكتَّاب ، فاثبت لهم ديواناً . وسأل عُمَر عن اسم الديوان ، فعبَّر لهُ . ولمَّا اجتمع ذلك امر عقيل بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم ، وكانوا من كتَّاب قريش ، فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليهِ وسلَّم وما بعدها الاقرب فالاقرب . هكذا كان ابتداء ديوان الجيش . وروى الزهري عن سعيد بن المسيب أنَّ ذلك كان في المحرَّم سنة عشرين »

***

اما الكلمات المستعملة الآن للدلالة على اقسام الجيش من حيث العدد فهي :

فيلق (وفي تركيا أوردو) (Corps d'armée) — وفرقة (Division) — ولواء (Brigade) — وآلاي (Régiment) — وطابور (Bataillon) — واورطة (بلوك) (Compagnie)

ومن هذه الالفاظ ما هو عربي ومنها ما هو تركي : فكلمة « فَيْلَق ج فيالق » مستعملة عند العرب ومعناها الجيش العظيم . قال الشاعر « في حومةِ الفيلق الجأواء إذ نزلت »

وكذلك « فرقة » فان معناها الجماعة من الناس (ج فِرَق) على أنَّ « فريق » تدلُّ على جماعةٍ اكثر عدداً من الفرقة ، وان كانوا في ايامنا يطلقون كلمة « فريق » على قائد هذه الجماعة لا على الجماعة نفسها

أما « لِواء ج ألوية » فهي على ما هو معروفٌ الراية والعلَم ، وقد يمكن إبقاؤها بمعناها المألوف في اللغة العسكرية من باب تسمية الشيء باسم جزء منهُ اذا كان المقصود من هذا القسم من الجيش الجماعة ذات اللواء او الراية

أما « طابور » فواردة في القواميس بالثاء لا بالطاء : (تابورج توابير) ومعناها جماعةٌ العسكر ، وبهذا المعنى ايضاً كتيبة

أما « آلاي » فلفظةٌ اعجمية يُقابلها من حيث الدلالة على عدد الانفار كلمة جَحْفَل (ج جحافل) . وكذلك يصح استعمال « سَرِيّة ج سرايا » بدلاً من اورطة ، و « كوكبة » بدلاً من بلوك سواري (Escadron)

اما ما يُعبَّر عنهُ الافرنج بكلمة (Détachement) فيقابلهُ عند العرب « فصيلة » لانها تُفصَل من الجيش او « بريدة » لانها تُجرَّد من سائر الجيش لاي غرض كان . وكلتا اللفظتين على وزن فعيل بمعنى مفعول

وهذه الاسماء لاقسام الجيش المختلفة تدلُّ على عددٍ من الاجناد يختلف كثرةً وقلةً حسب الزمان والمكان

فعدد العساكر الذي ينطوي تحت كل قسمٍ من اقسام الجيش يزيد او ينقص في دولةٍ من الدول عمَّا هو عليهِ في غيرها ، بل هو يختلف في الدولة الواحدة بين الماضي والحاضر ، او بين ايام الحرب وايام السلم . ولما كانت الالفاظ المستعملة عند العرب من جهة ثانية لا تدلُّ في اصل وضعها على عددٍ مُعيَّنٍ من الجند ، بل كان ذلك من المصطلح عليهِ ايضاً حسب اختلاف الامكنة والازمنة ، فانهُ يمكن الرجوع اليها والاتفاق على جعل مدلولها كذا او كذا من العساكر

اما أشهر هذه الالفاظ فهي على ما جاء في كتاب « فقه اللغة » للثعالبي

السرية (من ٥٠ الى ٤٠٠) والكتيبة (من ٤٠٠ الى ١٠٠٠) والجحفل (من ١٠٠٠ الى ٤٠٠٠) والخميس (من ٤٠٠٠ الى ١٢,٠٠٠)

وقد سمي « الجيش » خميساً لانه مؤلَّفٌ من خمس فرقٍ وهي المقدَّمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب كما تقدَّم القول

ومن هذا القبيل ايضاً ما ورد في كتاب « الالفاظ الكتابية » للهمذاني :

المقنَّب (ما بين الثلاثين الى الاربعين) والمئَنَّر (ما بين الاربعين الى الخمسين)

وجاء في كتب اللغة : انتبت الخيلُ وتقبّت صارت مقتباً . ويقال : قتّبوا نحو العدو وتقبوا اذا تجمّعوا وصاروا مقتباً . والمقتَب من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين ، وقيل زهاء ثلثمئة — او جماعةٌ من الخيل تجتمع للغارة

والمنسَر في كتب اللغة : الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين ، او من الاربعين الى الخمسين او الى الستين ، او من المئة الى المئتين — وقطعةٌ من الجيش تمرّ قدام الجيش الكبير ، وقيل الجيش الذي لا يمرُّ بشيء الاّ اقتلعهُ . وفي الحديث « كما اطلّ عليكم منسرٌ من مناسر اهل الشام اغلق كلُّ رجلٍ منكم بابهُ »

ويقال كذلك كِبكِبة من الرجالة كما يقال كوكبة من الفرسان . والكِبكِبة في كتب اللغة ، بفتح الكافين او بضمها ، الجماعة من الناس المتضامّة

وهناك ايضاً ألفاظٌ كثيرةٌ من هذا القبيل معروفةٌ عند العرب كالرَّهط والشرذمة والثُّلة والزُّمرة الخ

وجاء في « الالفاظ الكتابية » ان الرهط ما بين الخمسة الى العشرة ، والعُصبة ما بين العشرة الى الاربعين

ومن كلّ ما تقدم يظهر ان هذه الالفاظ لا تدلُّ على عددٍ معين ، فلا يصعب والحالة هذه تطبيقها على اقسام الجيش في زمننا هذا

***

اما رتب الجندية الآن فهي من الادنى الى الاعلى

نفر . اونباشي (Caporal ou maréchal des logis) . بلوك امين ، جاويش ، باشجاويش (Sergent major) صول ، ملازم ثانٍ (Sous-lieutenant) ، ملازم اول (Lieutenant) ، يوزباشي (Capitaine) ، صاغ قول اغاسي (Adjutant-major) ، بكباشي (Chef de bataillon ou d'escadron) ، قائمقام (Lieutenant-colonel) ، مير آلاي (Colonel) ، مير لواء (Général de brigade)

فريق (Général de division ou Lieutenant général) مشير (Maréchal)

وايجادُ كلماتٍ عربية لهذه المسميات يتوقف كثيراً على ما يقرَّر بشأن اقسام الجيش ، فنقول والحالة هذه : قائد سريّة ، وقائد كتيبة ، وقائد تجفل . الخ

او انهُ يمكن استعمال « امير » للرتب العليا ، و « قائد » لما دونها ، و « رئيس » للرتب

الصغرى ، فنقول : امير الجيوش انعام ، وامير فيلق (او فرقة او لواء الخ) وقائد جحفل (او كتيبة او سرية او شرذمة او زمرة الخ) ورئيس مقنب (او مئة او ثلة او رهط الخ)

فان الالقاب الحالية لا يختلف معناها كثيراً عن مثل هذا . فمعنى « بكباشي » رئيس الألف ، ومعنى « يوزباشي » رئيس المئة ، ومعنى « اونباشي » رئيس العشرة ، ومعنى « صاغ قول اغامي » رئيس الجناح الأيمن . وكان في الجيش التركي رتبة تقابلها وهي « صول قول غامي » اي رئيس الجناح الايسر

وقد يكون هناك مجال لنحت اسماء جديدة من الالفاظ التي تقرر لاقسام الجيش فيقال: فيلقي وفريق ولوائي وجحفلي وقس على ذلك

او يمكن اتخاذ الالفاظ التي تدل عند العرب على السيادة والزعامة وإطلاق كل واحدة منها على قواد اقسام الجيش ورؤسائه حسب الاهمية ، والامر في ذلك راجع الى الاصطلاح . ومن هذه الالفاظ : الجُلاحِل (السيّد الشجاع) والزعيم والعميد والمقدّم والمولى والمسوّد والسيّد والرأس الخ . ورأس القوم سيدهم وهو لقب موجود في الحبشة حتى الآن

ويمكن اطلاق اسم « كوكب » على قائد الكوكبة ، فالكوكب في كتب اللغة سيّد القوم وفارسهم او الرجل بسلاحه

أما « الشُرطة » التي سبق ذكرها في سياق كلام ابن خلدون فقد شرحها اقرب الموارد أنها طائفة من خيار اعوان الولاة وهم في ايامنا رؤساء الضابطة ، مفردها شُرطي وهو ما يسميه الافرنج (Agent de police) وبهذا المعنى « الشحنة »

أما كلمة « العسس » فهي بمعنى الخفراء من عسّ اي طاف بالليل يحرس الناس ويكشف اهل الريبة

بقيت مسألة العبارات المصطلح عليها عندنا الآن لاصدار الامر الى العساكر بالسير او الوقوف او رفع السلاح او خفضه ، وهي مما لا يصعب ترجمته بعبارات عربية تكون اقرب الى فهم الجندي واوفى بالغرض من العبارات الاجنبية وقد ادخل ذلك في تعليم الجند اللبناني فألفه الناس وآثروه على غيره

هذا ما عنّ لنا في هذا الموضوع احببنا ان نطرحه على بساط البحث إتماماً للفائدة

القاهرة انطون الجميّل